الفصل السادس

فقيل له : مامعنى قوله : « من عرف نفسه عرف ربه »[١٢] .؟.

فقال : إن الأشياء تعرف بالأمثلة المناسبة ، ولولا المضاهاة المذكورة لم يقدر الإنسان على الترقى ، من معرفة نفسه إلى معرفة الخالق .

فلولا أن الله – تعالى – جمع فى الآدمى ماهو مثال جملة العالم ، حتى كأنه نسخة مختصرة من العالم ، وكأنه رب فى عالمه متصرف ، لما عرف العالم . والتصرف ، والربوبية ، والعلم ، والقدرة ، وسائر الصفات الإلٰهية ، فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها مرقاة إلى معرفة خالق النفس .

وفى استكمال المعرفة بالمسألة التى قبل هذه مايكشف عن وجه هذه المسألة .

---

(١٢) وجاء فى كتاب (**رحمه من الرحمن فى تفسير وإشارات القرآن**) للشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى : جمع الشيخ محمود الغراب : وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: « **من عرف نفسه عرف ربه** » فينبغى للإنسان أن ينظر فى روحه كيف توجه إلى مدينة جسمه المزخرف ودخله . ليعاين ما أودع الحق فيه من الحكم والترتيب الأحسن . لأنه فى

أحسن تقويم ، فإذا شرعت فى هذا النظر فأمعن فيه ، ولا تترك زاوية من الإنسان حتى تدخلها وتعرف ما خزنت ؛ فإنها خزائن الحق ، فإنك تقف على علم عظيم . قال – تعالى – : ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ . وقال – صلى الله عليه وسلم – : « **أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه** » فإن الإنسان من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله . كسائر ما سوى الجن والإنس من المخلوقات . فما من شيء فى الإنسان من شعر ، وجلد ، ولحم ، وعصب ، ودم ، وروح ، ونفس ، وظفر ، وناب ، إلا وهو عالم بالله ﷻ تعالى – بالفطرة ، بالوحى الذى تجلى له فيه .

والإنسان من حيث مجموعيته ومالجمعيته من الحكم جاهل بالله حتى ينظر ويفكر ويرجع إلى نفسه ، فيعلم أن له صانعاً صنعه ، وخالقاً خلقه . فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله ، ومن حيث جملته جاهل بالله ، حتى يتعلم ، أى : يعلم بما فى تفصيله . وكل علم لا يكون حصوله عن كشف بعد فتح الباب يعطيه الجود الإلهى ويبديه ويوضحه ، فهو شعور لا علم ؛ لأنه حصل من خلف الباب والباب مغلق ، وليس الباب سواك ، فأنت بحكم معناك ومغناك ؛ وذلك هو غلق الباب .

فأنت تشعر أن خلف هذا الجسم والصورة الظاهرة معنى آخر لاتعلمه ، وإن شعرت به . فالصورة الظاهرة المصراع الواحد ، والنفس المصراع الآخر .

فإذا فتحت الباب تميز المصراع من المصراع . وبدا لك ما وراء الباب . فذلك هو العلم . فما رأيته إلا بالتفصيل . لأنك فصلت ما بين المصراعين . حتى تميز هذا فيك .

فإن كان الباب عبارة عن حق وخلق وهو أنت وربك فالتبس عليك الأمر ، فلم يتميز عينك من ربك . وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « **من عرف نفسه عرف ربه** » فالشعور مع غلق الباب ، والعلم مع فتح الباب .

فإذا رأيت العالم متهما لما يزعم أنه به عالم فليس بعالم وذلك هو الشعور .

وإن ارتفعت التهمة فيما علم فذلك هو العلم . ويعلم أنه قد فتح الباب له : وأن الجود قد أبرز له ماوراء الباب . وكثير من الناس يتخيل أن الشعور علم وليس كذلك . وإنما حظه الشعور من العلم أن تعلم أن خلف الباب أمراً ما على الجملة لا يعلم ماهو . « راجع آيات من الرحمن للشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى جمع فضيلة الشيخ محمود محمود الغراب جـ ٤ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ط دمشق ١٤١٠ هـ . » .